*المصادر بين القياس والسَّماع*

*بحث في النحو*

*إعداد/ أحمد عبد الحميد مهدي*

*قسم اللغة العربية*

*كلية العلوم الاسلامية – جامعة المدينة العالمية*

شاه علم - ماليزيا

*ahmed.mahdey@mediu.ws*

**خلاصة—هذا البحث يبحث في المصادر بين القياس والسَّماع.**

*الكلمات المفتاحية: المصادر، المبرد*

# ***المقدمة***

معرفة أسس المصادر بين القياس والسَّماع، إنَّ المصدر في العربية إما أن يكون قياسًا، وإما أن يكون سماعًا، وكلمة السماع هنا كلمة مهمة غالية؛ لأنَّ السماع إما أن يكون سماعًا شبه مقيس، وإما أن يكون سماعًا محضًا كأنه وقف لا يتغير ولا يتبدل، وسوف يكون لنا رجوع إليه مع نص المبرد.

1. *المقالة*

إنَّ المصدر في العربية إما أن يكون قياسًا، وإما أن يكون سماعًا، وكلمة السماع هنا كلمة مهمة غالية؛ لأنَّ السماع إما أن يكون سماعًا شبه مقيس، وإما أن يكون سماعًا محضًا كأنه وقف لا يتغير ولا يتبدل، وسوف يكون لنا رجوع إليه مع نص المبرد.

نعني بالمصدر القياسي أنَّ هناك قواعد، وضعها العلماء بعد استقراء الكلام، وبعد أن رأوا أن بعضه يشبه بعضه، مثاله أن تقول: ما مصدر أفعل؟ مصدره: "الإفعال" والمثال أكرم إكرامًا، تقيس عليه فتقول: أحسن إحسانًا، وتقول: أشرف إشرافًا، وتقول: أقبل إقبالًا، وأدبر إدبارًا، وهكذا قياس، كأنك تقيس على قانون رياضي كل ما تحصل عليه من أرقام، وكأنك تضبط المعادلة، وتحسب عدد اليمين، وعدد الشمال من جزئياتها الكيماوية، أكرم على وزن أفعل، وأفعل مصدره الإفعال، أي كأنك تقول: أكرم إكرامًا فإذا قلت لك: ما مصدر أحسن؟ لم يكن عندك مشكلة؛ لأن لديك القاعدة، بناء صرفي في الفعل هو "أفعل" يكون مصدره بناء صرفيًّا في الأسماء هو "إفعال" بكسر الهمزة؛ فتقول: أكرم إكرامًا، وتقول: أحسن إحسانًا، وتقول: أشرف إشرافًا إلى ما لا نهاية.

ومن القياس أن تقول: علَّم تعليمًا، وأنت تقرأ آية النساء: {ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ} [النساء: 164] فإذا كان الفعل على وزن "فعّل" كان مصدره على وزن "تفعيل" ومثاله كلَّم تكليمًا، فما مصدر "علّم"؟ علّم تعليمًا، وما مصدر "جمّل"؟ جمّل تجميلًا... وهكذا.

السماع: ما ورد عن العرب بلغة سيبويه الموثوق بعربيتهم، والقياس ليس شيئًا شاذًّا، وإنما هو ثمرة السماع فيما أرى، وليست المسألة حربًا بين السماع والقياس -كما يظن بعض الناس- وإنما سمع الناس فقاسوا، لماذا قلنا سماعية، ولم نقل قياسية؟ يعني: مردها إلى السماع، إلا أنه لا ضابط نستطيع أن نستمطرها به وأن نسترحمها به وأن نستجمعها به، وإنما نقول: هكذا سمعت، وجل المصادر السماعية في الثلاثي، وإن حاول العلماء من قديم أن يقربوا إلينا صورته بأنه إنْ دل الفعل على داء كان مصدره على "فعال" كزكُم زكامًا، وإنْ دل على اضطراب وحركة ففعلان كغليان، وإن دل على حِرفة فعلى وزن "فعالة" كزرع زراعة، وكتب كتابة، إلى آخر ذلك مما نظمه الناس.

تنوين "سبحان" للضرورة الشعرية:

المصدر الذي بدأ به المبرد هو: سبحان الله، قف هنا وقل: أهذا مصدر؟ الجواب بلغة التوسع: نعم، ولكن هو اسم مصدر؛ لأنَّ المصدر سبّح، والفعل إذا كان على "فعّل" كان مصدره "تفعيل" ونحن لم نقل هنا تسبيح الله، وإنَّما قلنا: سبحان الله، الفعل لا خلاف فيه: سبّح، وسبّح على وزن "فعّل" ومصدر فعل التفعيل، إلا أن سبحان لم يأتِ تسبيحًا، وإنَّما جاء كما نطقنا به سبحان، وأنت تقرأ أول الإسراء: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ} [الإسراء: 1] أنت تقرأ سبحان الله مصدر منصوب يريد المبرد -بل العلماء جميعًا- أن يقولوا لك: أنت تقرؤها في سورة البقرة {ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ} [البقرة: 31].

وتقرؤها في المائدة: {ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ} [المائدة: 116] وتقرؤها في الأنبياء، وفي قصة يونس؛ حيث ذهب مغاضبًا {ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ} [الأنبياء: 87] .

"سبحان الله" هكذا قال المبرد، يقول: ما جرى مجرى المصادر، يعني إذن: هو ليس من المصادر، لماذا؟ لأن المصادر معروفة؛ فهو اسم مصدر؛ لأن سبحان "فُعلان" والفعل سبح، وسبح على وزن "فعَّل" ومصدر فعّل التفعيل، وليس فعلان. إذن بدأ المبرد قائلًا: فمن ذلك: سبحان الله، ومعاذ الله. ونقف عند هذين المصدرين:

يقول: كل هذا معناه في النصب واحد، ومعناه في الرفع واحد، هل يعني المبرد بذلك أنَّ "سبحان الله" يجوز أن نقول فيها: سبحانُ الله؟ الجواب: لا، احذر أن تفهم هذا. كلمة سبحان: علم على التسبيح، وهي مضاف، ولفظ الجلالة مضاف إليه كما أن مَعَاذَ مضاف، ولفظ الجلالة مضاف إليه، والدليل على أنَّ المبرد لا يقصد بذلك جواز الرفع مع النصب فيهما.

ومن هنا لا بد أن أقف، ولا بد أن أقول لك: إذا قلنا: سبحان الله، فنحن نعلن أن الله تعالى بريء من السوء، وإنما السوء نحن نصنعه، لا بد أن نتعلم ما الدرس الذي نستفيده في حياتنا؟ من قال: سبحان الله؛ اتهم نفسه بالخطأ لا اتهم قدَره، ولا يتهم القدر، ولا ينسب السوء إلى ذات الله تعالى، وإنما يقول: سبحان الله يعني كما قال الله تعالى: {ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ} [الروم: 17] أنت تقرأ ذلك وتتعلم منه أن تجري على لسانك صباحًا، ومساءً تسبحوه بكرة وأصيلًا -أي: نزهوا الله من السوء- ليس معنى ذلك أن يتحول الناس إلى أصوات، وإنما معناه: أنَّ يتّهم الناس أنفسهم بالتقصير، وأن يتهم الناس أنفسهم بالسوء ليقوموا فيبدلوه حسنًا.

إذن سبحان الله، معاذ الله هذا معناها، ولا يكون فيها إلا النصب؛ فإن حذفت المضاف إليه من سبحان، فماذا تقول إذا جردت عن الإضافة فصارت "سبحان" هكذا، فهل تنون؟ الجواب: لا تنون، السبب: لأنَّها علم، كمحمد؟ لا، وهل محمد ممنوع من التنوين؟ وإنَّما هي كعثمان، ستقول لي: وهل هناك من فرق بينها وبين عثمان، أقول: نعم، عثمان علم على ذاته -علم شخص معين- لكن سبحان علم على جنس التسبيح،فأنت تعرف الحكم النحوي من أن كلمة سبحان إذا جردت عن الإضافة، فمعنى ذلك أنها ممنوعة من التنوين، ومعنى منعها من التنوين: منعها من الصرف -ومنعها من الصرف أي: إما أن تكون مضمومة بضمة واحدة، وإما أن تكون بسبحان يعني: مجرورة بالباء، وعلامة جرها الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنها ممنوعة من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون.

هذا البيت قد جاء الشاعر بها منونةً فقال:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سبحانه ثمّ سبحانًا نعوذ به | \* | وقبلنا سبح الجُودي والجُمد |

الجبال سبّحت قبلنا، ومنها الجوديّ، ماذا قال الشاعر؟ قال: ثمّ سبحانًا.

كيف يأتي هذا العَلَم المزيد فيه للألف والنون، كيف يأتي بلا تنوين ونحن أمة النظم والدقة؟ أنقول: سبحانهو/مستفعلن/ثمم سب/فاعلن/حانن نعو/مستفعلن/ذوبهي/فاعلن.

تقول: أليس الطي من الجائز؟ ألا أحملها على طيّ أجازه العروضيون مثلًا؟ أقول: ولمَ نحذف والأصل عدمه؟! الشعر وطن الضرورة؛ ومن ثم اتضح لك الحال الآن، وعرفت أن الشاعر نونها للضرورة الشعرية.

تفسير المبرد للسماع في تلك المصادر:

كأن المبرد يقول لنا ويشرح ما معنى السماع في هذه المصادر، وأولها: سبحان الله وريحانه قال: ومن كلامهم: سبحان الله وريحانه، فتأويل ريحانه في هذا الموضع: الرزق، وتقديره في المصادر تسبيحًا واسترزاقًا أي: ليس ريحانًا، وتصديق هذا في قوله تعالى: {ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ} [الرحمن: 12] فأما قولهم: ويل لزيد، وويح لزيد، وتب لزيد، وتبًا أيضًا، فإذا أضفت لم يكن إلا النصب، معنى هذا أنك تقول: ويل لزيد رفعت -ولنا عود- وويح لزيد رفعت، وتب لزيد رفعت؛ فإن أضفت أسألك: ما الذي يمنع الإضافة هنا؟ والجواب: كيف تكون هناك إضافة واللام موجودة؟! إذن الذي يمنع الإضافة اللام؛ فإنَّ أردت أن تضيف إلى زيد فاحذف اللام أي: أنك تقول: ويل زيد، وتقول: ويح زيد.

# المراجع والمصادر

1. سيبويه، عمرو بن عثمان سيبويه (الكتاب) ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، 1991م
2. المبرد، محمد بن يزيد المبرد (المقتضب)، دار الكتب العلمية، 2000م
3. بن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك (شرح التسهيل)، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1990م
4. القفطي، جمال الدين علي بن يوسف القفطي (أنباه الرواة على أنباه النحاة)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، 1950م
5. بن كثير، إسماعيل بن كثير (طبقات الشافعية)، دار المدار الإسلامي للتوزيع، 2003م
6. الحنبلي، ابن العماد عبد الحي بن أحمد الحنبلي (شذرات الذهب في أخبار من ذهب)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، سوريا، دار ابن كثير، 1986م
7. الأنباري، عبد الرحمن بن محمد الأنباري (الإنصاف في مسائل الخلاف)، دار الكتب العلمية، 2007م
8. الأنباري، أبو البركات بن الأنباري (البيان في غريب إعراب القرآن)، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م
9. الأنصاري، جمال الدين بن هشام الأنصاري (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م
10. الأشموني، علي بن محمد الأشموني (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك)، دار الكتب العلمية، 1998م
11. بن جني، ابي الفتح عثمان بن جني (الخصائص)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م
12. بن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك (شرح الكافية الشافية)، دار الكتب العلمية، 2000م
13. الشافعي، محمد بن علي الصبان الشافعي (حاشية الصبان على شرح الأشموني)، دار الكتب العلمية، 1997م
14. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1964م
15. الطنطاوي، محمد الطنطاوي (نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م
16. الأستراباذي، محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي (شرح الرضي على الكافية)، تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، 1978م
17. بن يعيش، يعيش بن علي بن أبي يسار بن يعيش (شرح المفصل)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م.
18. بن منظور، محمد بن مكرم بن منظور (لسان العرب)، بيروت، دار صادر، 1970م
19. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (اللباب في علل البناء والإعراب)، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م
20. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع)، دار الكتب العلمية، 1997م
21. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن عليّ بن حيان الأندلسي (تفسير البحر المحيط)، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413هـ